المحاضرة رقم (2) :المفاهيم القاعدية في علم النفس المرضي 1-البنية

1-مفهوم البنية في علم النفس المرضي :

* يعرفها (**J.Bergeret**) على أنها : " تنظيم ثابت و نهائي لمكونات ميتا سيكولوجية أساسية سواء كانت الحالة مرضية أو سوية ". (Bergeret .j et all.1974.p49)

* كما يعرفها (**Freud**) من خلال قوله : " إذا سقط بلور من الكريستال ، فإنه لا ينكسر بأي حال من الأحوال ، بل حسب خطوط الضعف و القوة التي حدثت عند تكوينه وهي خاصة بكل جسم، و هذه الخطوط تبقى خفية حتى ينكسر البلور أو يوضع تحت جهاز خاص ،و بالنسبة لبنية الشخصية فهي تسلك نفس المسك" (Bergeret , P 49)

2- مراحل تكوين البنية الشخصية :

تتكون البنية الشخصية عبر مجموعة من المراحل حددها (**J.Bergeret**) كما يلي:

2-1- المرحلة الأولى :

تبدأ مند الولادة ، و يكون فيها الأنا في حالة لا تمايز نفسي جسدي ، و لكن سرعان ما يبدأ في التمايز تدريجيا مع خروجه من الهو ، و هذا تحت تأثير النضج و العناية و العلاقة مع الأم ، و هنا إذا كانت الظروف الداخلية و الخارجية مضطربة ، فسيحدث تسجيل خطوط ضعف في هذه الفترة و نقطة تثبيت كما تقول (**A. Freud**).

2-2- المرحلة الثانية :

يتطور الليبيدو ويتقدم في سيرورته ، و تتطور العلاقات بالموضوع مع تنظيم الدوافع الجزئية ، و الأنا يتطور و يستعين بالآليات الدفاعية ، و ذلك حسب المحيط الخارجي و أخطاره ، و أخطار داخلية ناجمة عن النزوات مما يسمح بتكوين تدريجي للشخصية ، و هنا يتطور الليبيدو و يتقدم تبعا لـ:

- العلاقات مع الوالدين و خصوصا الأم ، ثم العلاقات مع أفراد المحيط.
- تسقط كل التجارب النفسية على شكل صراعات و صدمات و تقمصات إيجابية.
- تبدأ ميكانيزمات الدفاع النفسي تنتظم بطريقة تفاعلية.

– تنتظم تدريجيا نفسية الفرد ، و تصنف حسب العناصر الأولية فتنتج منظمة داخلية ذات خطوط انشطار و تلاحم ، و التي تكون غير قابلة للتغير فيما بعد.

2–3– المرحلة الثالثة :

و مع نهاية مرحلة البلوغ ، تكون البنية ثابتة و لا تتغير في توجهها الأساسي مادام صاحبها لم يتعرض إلى صدمات نفسية هامة (إحباط أساسي أو صراعات قوية) ،فيبقي ذا بنية عصابية أو ذهانية سوية ، و لكن يمكن لأي حدث أن يحدث شرخا في البنية و ذلك حسب خطوط القوة و الضعف الموجودة فيها.

– فالبنية العصابية يتمركز الصراع فيها ما بين الأنا و النزوات ، أما البنية الذهانية فيقتصر ثباتها على سيطرة الإنكار على جزء من الواقع مع سيطرة الدفاعات القديمة ، و توجد ما بين هاتين البنيتين ما يعرف بالتنظيمات الحدية أو البنية و تضم الأمراض السيكوسوماتية ، و الأمراض السيكوباتية و الانحرافات ، و تظهر هذه الحالات كمنظمة هشة ، أي تنظيمات قابلة للتغير و ليس كبنية ثابتة لأنها ممكن أن تتطور إلى مسار الذهان أو العصاب. (ميموني، ص ص 37،38)

3 . مكونات بنية الشخصية:

تتحدد المكونات الميتاسيكولوجية الأساسية لبنية الشخصية بخمسة أبعاد ، ويكون التشخيص على أساس هذه المكونات :

3–1 . مستوى نكوص الليبيدو والأنا (التثبيت).

▪ **البنية الذهانية:** النكوص لا يتعدى المرحلة الشرجية الأولى، والأنا ينكص إلى مرحلة اللاتمايز أو تمايز بدائي مما يجعله ضعيفا ، فهولا يلعب دور الوسيط ، فيقع تحت سيطرة الهو.

▪ **البنية العصابية:** يرجع نكوص الليبيدو إلى الفترة الثانية من المرحلة الشرجية ، مثل ما هو في (العصاب الاستحواذي) ، وإلى المرحلة الأوديبية أو القضيبية ، الأنا تمايز كلية مع تمايز الموضوع.

▪ **التنظيم البيني** : يرجع النكوص أو التثبيت إلى المرحلة ما بين الشرجية الأولى والثانية ، وقضيبية الأوديب لم تلعب دورها التنظيمي ، الأنا تمايز لكنه مازال اتكاليا، وتلعب الصدمة دورها من حيث تهديدها للكيان النرجسي ، مما يؤدي إلى تبعية اتكالية للموضوع.

3–2 . نوع القلق .

▪ **البنية الذهانية** : هو قلق التجزئة، والتفكك ، واليأس، والتلاشي ، والموت ، لأن الأنا تفكك وانشطر بعدما كانت وحدة الأنا متماسكة.

▪ **البنية العصابية** : مهما كان نوع العصاب ، فإن قلق الإخصاء هو المسيطر على هذه البنية ، أو قلق الإثم والخطأ ويُعاش في الحاضر ، وهو مُرَكَز على ماضي شهواني.

▪ **التنظيم البيني:** هو قلق ضياع الموضوع (الأم) والانهيار.

3-3 . العلاقة بالموضوع .

▪ **البنية الذهانية** : نجد علاقة نرجسية كاملة ، لأنها مدمجة في نرجسية الألم ، وتؤدي إلى التوحد ، والانطواء والتخلي عن الموضوع ، وتوظيف الواقع مع تكوين واقع جديد من خلال الهذيان والهلوسة ، فهي إذن علاقة أحادية حيث يعتقد أنه وأمه شخص واحد.

▪ **البنية العصابية** : علاقة ثلاثية تناسلية : "طفل . أم . أب ".

▪ **التنظيم البيني:** علاقة ثنائية إتكالية : "طفل أم " وليست اندماجية.

3-4 . طبيعة الصراع.

▪ **البنية الذهانية:** يكون الصراع بين الهو والواقع ، ولا يكون بين الأنا والواقع ، لأن أنا الذهاني غير موجود أو بدائي ، ولا يقوى على دور الوسيط بين الواقع والهو الذي يرفض سيطرته.

▪ **البنية العصابية:** يكون الصراع جنسي بين الأنا الأعلى والدوافع "رغبات ونزوات" ، مما يؤدي إلى الشعور بالذنب وقلق الإخصاء.

▪ **التنظيم البيني:** علاقة ثنائية إتكالية : "طفل أم " وليست اندماجية.

3-4 . طبيعة الصراع.

▪ **البنية الذهانية:** يكون الصراع بين الهو والواقع ، ولا يكون بين الأنا والواقع ، لأن أنا الذهاني غير موجود أو بدائي ، ولا يقوى على دور الوسيط بين الواقع والهو الذي يرفض سيطرته.

▪ **البنية العصابية:** يكون الصراع جنسي بين الأنا الأعلى والدوافع "رغبات ونزوات" ، مما يؤدي إلى الشعور بالذنب وقلق الإخصاء.

▪ **التنظيم البيني:** يكون الصراع بين مثال الأنا والهو، والذي لم يبلغ المستوى التناسلي ، أما الأوديب لم يلعب دوره المنظم، ويبقى ذو طابع نرجسي مع قلق فقدان الموضوع والتهديد بالانهيار.

3-5. الآليات الدفاعية الأساسية.

▪ **البنية الذهانية** : النفي أو تجاهل الواقع مع ازدواج الأنا.

▪ **البنية العصابية** : هنا الآليات متطورة أهمها : الكبت والتحويل.

▪ **التنظيم البيني:** ازدواج الصورة الهوامية، مع تقسيم الحقل العلائقي إلى جزأين

. الأول: تقدير وفهم صحيح للواقع، ويعني ذلك تكيف صحيح.

–الثاني:تقدير مثالي للواقع وفي نفس الوقت نفي له.(ميموني ،ص58)

ولتوضيح أكثر لمختلف أنواع البنيات و خصائصها نستعرض الجدول التالي :

(Beregeret J et all , paris,1974.p 140)

جدول رقم (1) :خصائص مختلف البنيات النفسية

نوع البنية	الهيئة المسيطرة	طبيعة الصراع	الميكاينزمات الدفاعية	العلاقة مع الموضوع	مستوى نكوص الليبيدو
البنية العصابية	الأنا الأعلى	الهو / الأنا الأعلى	– الكبت – العزل – التكوين العكسي	تناسلية	المرحلة القضيبية
البنية الذهانية	الهو	الهو / الواقع	– نفي الواقع – ازدواجية الأنا	اندماجية	المرحلة الفمية
التنظيم الحدي	مثال الأنا	مثال الأنا / الهو / الواقع	– ازدواج الصور الهوامية. – الانشطار	اتكالية	المرحلة الشرجية

البنية عند الطفل :

عند الطفل لا نتكلم عن بنية عصابية أو ذهانية ، بل عن تنظيمات عصابية أو ذهانية قابلة للتغير تحت تأثير العوامل الداخلية و الخارجية ، لا تكتمل البنية إلا عند المراهقة لذلك يطرح التشخيص لاضطرابات الطفل و المراهق مشكلا معتبرا ، فإذا ظهرت عند الطفل أعراض ذات طابع عصابي فهي لا تعني بالضرورة وجود عصاب أو بنية عصابية لأن الطفل الذي أبدى هذه الأعراض يمكن أن يشفى خلال

سيرورة نموه ، نظرا للإمكانيات التطورية الداخلية و الخارجية التي يملكها ، بالمقابل يمكن أن ينكص إذا ساءت الظروف الداخلية و الخارجية مطورا بذلك اضطرابات نفسية ، أما في المراهقة فيقول **(بارجوري)** أنه يمكن لتنظيم ذهاني أن ينقلب إلى تنظيم عصابي بفضل معالجة معمقة ، كما أن عددا كبيرا من الاضطرابات تأخذ طابعها النهائي كالفصام (الذي هو ذهان المراهقة و الشباب) ، يجدر القول أن مفهوم التنظيم في الطفولة و المراهقة يساعد على التبصر بخطورة الاضطرابات ، و أهمية التشخيص المبكر و العلاج كي لا تترسخ و لا تتعمق الاضطرابات. (ميموني ، 2005 ، ص 57، 61)

–نستخلص في الأخير أن دراسة كيفية تكون البنية خلال مرحلة الطفولة ، و المشكلات التي تؤثر على عملية نموها أمر بالغ الأهمية ، لأنها تعطينا صورة واضحة عن خطوط الضعف و القوة التي تميز هذا النمو ، و بالتالي تنبؤنا بطبيعة ما قد يواجهه الطفل من اضطرابات في مراحل عمرية لاحقة ، و من ثم إمكانية التدخل مسبقا لتفادي تطور ما يبدو عليه من علامات وأعراض.